ومقدرته كتابا غير جدلي عن الفلسطينيين ، فان الميزان الجدلي يميل اكثر لغير صالح ضحايا المأساة الفلسطينية . وكذلك ، وبما ان فلسطين ليست اكثر من مسألة اخلاقية عميقة، فان عرضها « موضوعيا » بجانب الانصاف قليلا ، بالمعنيين المجازي والحرفي الاكاديمي ، بالنسبة لهذا الموضوع المحدد . فوجهة نظر غير متحيزة حول فلسطين تعتبر ناقصة وغير كافية . والصراحة غير السياسية التي يعرض بها الاستاذ الخالدي كتابه هي ايضا برهان جديد على الحقيقة المتناقضة ظاهريا بأن العدالة الظاهرة لقضية الفلسطينيين هي العقبة الكأداء في وجه العمل الفلسطيني والدعاوة الفلسطينية ، اذ يبلغ اقتناع الفلسطينيين بعدالة قضيتهم درجة ينسون معها ان معظم الناس ، ولسوء الحظ ، ليسوا مقتنعين مثلهم وبحاجة الى كسبهم بالعمل والمناظرة ، وحتى بالجدل اذا كان ذلك ضروريا .

وبسبب ما يشير اليه الاستاذ الخالدي نفسه في مقدمته ، للقارىء ملء الحرية ان يتكهن بأن المحرر يدري كم ان عرضه غير متوازن . ففي الصفحة ٢٢ من مقدمته يعطي هذا التعليق التحليلي القاطع : « وراء التعقيدات المتاهية ظاهريا لما يسمى النزاع العربي — الاسرائيلي ، ووراء المتاهة المحيرة من الادعاءات والادعاءات المضادة ، هناك عملية مزدوجة مستمرة ومتواصلة . فمن جهة ، هناك التصميم الصهيوني لتجسيد وترسيخ وتوسيع « رؤيا » بال بصرف النظر عن الشخصية العربية والتراث العربي في فلسطين والمناطق المحيطة بها. ومن الجهة الاخرى ، تطور مواز من المقاومة العربية للانتهاكات الصهيونية وتحقيق الذات الصهيونية على حساب العرب . هذا هو جوهر مأساة فلسطين . وما عدا ذلك فهو امور ثانوية». كم هو صحيح هذا القول ! ولكنه بعد صفحتين ، اي صفحة ٢٤ من مقدمته ، كتب يقول : « لقد تم اختيار مواد هذه المختارات لتوضيح الموضوع المركزي لمأساة فلسطين ، وهو العملية التي قامت بها الصهيونية لانتزاع فلسطين والاراضي المجاورة لها من العرب ». وهكذا ، في ظرف صفحتين تم تحويل « عملية مزدوجة » الى « موضوع مركزي » واحد . اي ، أنه تم استبعاد العملية الاخرى : « المقاومة العربية للانتهاكات الصهيونية ». ونتيجة لعملية الاستبعاد هذه ، لا يبقى امام المرء سوى سلسلة متصلة من الانتصارات الصهيونية ، في الوقت الذي يتم فيه تصوير الاستجابة العربية للتحدي الصهيوني على انها في غالبيتها رد فعل سلبي ، معظمها اتخذ شكل معاناة سلبية ، حتى بشكل قليل ايضا .

لذلك لا يبقى على الناقد الا ان يتكهن حول الاسباب التي دفعت الاستاذ الخالدي للتركيز كليا، وبلا استثناء على الرواية الصهيونية اعتمادا على مصادرها الصهيونية . ربما يكون المجال هو السبب ، او ربما لان سرد المقاومة العربية سيعتمد فقط على المصادر العربية وهذه ، بنظر القراء في الغرب الذين توجه لهم مثل هذه الكتب، موضع شك على اساس انها غير دقيقة او مبالغ فيها . ان ذلك ليس صحيحا تماما ، لاننا شهدنا خلال السنتين او الثلاث الاخيرة انه عندما يتكلم الفلسطينيون باصرار ومنطق يكسبون ثقة الاخرين وربما افسح لهم اكبر مجال للدعاية في وسائل الاعلام الغربية . وقد اصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية مجموعة من الوثائق ، بالعربية ، عن المقاومة الفلسطينية . وعلى اي حال ، فان اصدار مجلد بالانجليزية يعتمد على هذه الوثائق لا يكاد يفي بغرض تقديم صورة متكاملة ومتوازنة، وذلك لان تحقيق مثل هذا الامر يمكن ان يحدث فقط اذا تمت طباعة التحدي الصهيوني والاستجابة الفلسطينية جنبا الى جنب في مجلدين اثنين .

جودفري جانسن